قراءة لكتابين تاريخيين عن منطقتي الباحة ونجران (*)

أ. د. مصطفى محمد قنديل زايد

(*) دراسة منشورة في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب، لغيثان بن جريس (الطبعة الأولى)(الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٢ هـ/٢٠٢٠ م). (الجزء الثامن عشر)، ص ص ٤٩٢ – ٥٠٤ .

ثالثاً : قراءة نقدية لكتابين تاريخيين عن منطقتي الباحة ونجران .

بقلم . أ. د . مصطفى محمد قنديل زايد[(١)] .

م	الموضوع	الصفحة
أولاً :	دراسة نقدية لكتاب (منطقة الباحة : دراسات ، وإضافات، وتعليقات (ق١. ق١٥هـ/ق٧ـق٢١م) (الجزء الأول) . ط١ (١٤٤١هـ/٢٠١٩م)	٤٩٣
ثانياً :	دراسة نقدية لكتاب (منطقة نجران دراسات، وإضافات وتعليقات (من قبل الإسلام . ق١٥هـ/ق١. ق٢١م) (الجزء الأول). ط١ (١٤٤١هـ/٢٠١٩م)	٤٩٨
ثالثاً :	خلاصة القول	٥٠٤

ندون في هذه الورقات دراسة نقدية لكتابين صدرا حديثاً للدكتور غيثان بن جريس. الأول بعنوان: منطقة الباحة دراسات وإضافات وتعليقات (ق١. ق١٥هـ/ق٧. ق٢١م) ، (الجزء الأول) ، ويقع في (٥٣٦) صفحة، ويحتوي على (١٥) دراسة علمية ، وصدر عن مطابع الحميضي بالرياض عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) ، ومدون على غلافه الأول والثاني (الجزء الأول) . والكتاب الثاني : منطقة نجران دراسات ، وإضافات ، وتعليقات من قبل الإسلام. ق١٥هـ/ ق١. ق ٢١م) ، وهو الجزء الأول ، وصدر عن مطابع الحميضي أيضاً عام (١٤٤١هـ/٢٠١٩م) ، ويقع في (٥٩٢) صفحة . والذي نرصده ليس دراسة نقدية تفصيلية عن هذين الكتابين ، وإنما إشارات نقدية لأهم الأمور التي أراها قد

(١) الدكتور مصطفى مصري الجنسية ولد عام (١٩٦٩م) ، كانت دراسته الجامعية من الليسانس حتى الدكتوراه في جامعة طنطا، حصل على درجة الدكتوراه عام (٢٠٠١م) ، وهو أستاذ تاريخ الحضارات القديمة في جامعته طنطا ، وفي قسم التاريخ بكلية العلوم الإنسانية في جامعة الملك خالد في السعودية . عمل في عدد من الأعمال الإدارية والأكاديمية بجامعتي طنطا وعين شمس في مصر ، وجامعة مصراتة في ليبيا ، وجامعة الملك خالد في السعودية . شارك في لجان عديدة في هذه الجامعات ، كما ناقش وأشرف على رسائل عديدة في الجامعات نفسها وجامعات أخرى في مصر والسعودية . هو عضو في عدد من الجمعيات والمؤسسات العلمية والأكاديمية داخل مصر وخارجها . شارك في الكثير من الندوات والمؤتمرات واللقاءات المحلية والإقليمية ، حصل على عددٍ من الدورات العلمية والتدريبية ، وحصل على الكثير من خطابات الشكر والتقدير. نشر حوالي ثلاثين عملاً علمياً ، ومنها البحوث المنشورة في مجلات علمية محكمة ، وبعضها صدر في هيئة كتب مثل: (١) كتاب العمارة الرومانية بالاشتراك مع أستاذين آخرين. (٢) كتاب الآثار البيزنطية والقبطية (٢٠٠٥م) . (٣) كتاب التربية والتعليم في الحضارة اليونانية والرومانية : دراسة وثائقية وأثرية ، الأنجلو المصرية (٢٠٠٦م) . (٤) كتاب العمارة القبطية (٢٠١٤م) . (٥) كتاب الفنون القبطية (القاهرة ، ٢٠١٥م) . (٦) كتاب دراسات في الفنون الرومانية (القاهرة ، ٢٠١٦م) . (٧)كتاب منهج البحث العلمي في التاريخ والآثار، بالاشتراك مع أستاذ آخر (القاهرة ، ٢٠١٨م) . (ابن جريس)

تفيد الباحث لو قدر له إعادة طبعهما[١] .

أولاً : دراسة نقدية لكتاب (منطقة الباحة : دراسات، وإضافات، وتعليقات (ق١-ق١٥هـ/ ق٧-ق٢١م) . (الجزء الأول) :

١. البلاد المعنية في هذا الكتاب هي منطقة الباحة جنوب المملكة العربية السعودية (تهامة وسراة) وبعض المحافظات والمراكز التابعة لها في الوقت الحاضر (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) . والمادة المنشورة شملت فترات متقطعة من القرن الأول للهجرة حتى القرن الخامس عشر الهجري (الواحد والعشرون ميلادي) .

٢. جميع الدراسات المنشورة في هذا الجزء للدكتور غيثان بن جريس وآخرين ، وكان عليه أن يضع أسماء الباحثين الآخرين في الكتاب مع اسمه الظاهر على الغلاف[٢] .

٣. عدم مراعاة التسلسل الزمني والمنطقي للدراسات المنشورة في الكتاب، والأفضل الابتداء بعرض آثار منطقة الباحة ، وكتابات الرحالة ، ثم التاريخ الإسلامي والوسيط والدراسات الشاملة والفردية التي تتعلق ببعض النظم الإدارية[٣] .

٤. نجد الباحث في الدراسة الأولى استخدم أسلوب السرد في عرض المعلومات ، واعتمد على مشاهدته الشخصية ومصادر التراث وبعض المراجع الحديثة ، كما أنه قدم في بداية الدراسة حصراً لأهم الدراسات التي كتبت عن منطقة الباحة أو تطرقت لها وقام بترتيبها ترتيباً زمنياً[٤] .

---

(١) أشكرك يا دكتور مصطفى على هذه الملحوظات النقدية التي آمل أن آخذ بها عند إعادة طباعة هذين الكتابين . والجميل فيما تم طرحه في هذه الصفحات أن يعرف الإنسان عيوبه العلمية من أساتذة متخصصين أمثال الدكتور مصطفى زايد ، وما من شك أن مثل هذه البحوث النقدية سوف تنير لنا الطريق في عالم البحث العلمي ونقوم أنفسنا بما يصلنا من الزملاء في علوم التاريخ والحضارة عبر العصور .

(٢) يا دكتور مصطفى من الصعب إدراج أسماء المشاركين في الكتاب لكثرتهم ، وإنما حقوقهم العلمية تحفظ مع أعمالهم المطبوعة والمنشورة سواءً في الكتاب الذي قمت بدراسته ، ونقده أو في مؤلفات أخرى وبخاصة موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) . (ابن جريس).

(٣) هذه ملحوظة جيدة وأرجو أن نأخذ بها في طبعة الكتاب الثانية .

(٤) اعلم يا دكتور مصطفى أن منطقة الباحة إحدى المناطق السرويةوالتهامية التي لم تنل حقها من البحث والتوثيق ، ولا أدعي الكمال فيما تم طبعه ونشره عن هذه البلاد ، لكن أرجو أن تفتح أبواباً للباحثين وبخاصة أساتذة التاريخ والحضارات القديمة.

٥. نلحظ في الدراسة الثانية العرض المباشر للوقائع والأحداث التاريخية . ولم تخل الدراسة من وجود تعليقات متنوعة أثرت الدراسة . كما أشار الباحث في توصياته إلى غنى المنطقة بالنقوش والرسوم الصخرية التي لاشك أنها تكشف لنا استيطان الإنسان في أودية وشعاب المنطقة منذ العصور القديمة[١] .

٦. في الدراسة الثالثة من الكتاب أورد الباحث تفصيلات عن المؤسسات الإدارية الحديثة خلال عصر الدولة السعودية الثالثة ، وجمع معلوماته من مديري تلك المؤسسات . وكان الأفضل تأخير موضوع هذه الدراسة إلى نهاية الكتاب مراعاة للتسلسل الزمني والمنطقي للموضوع[٢] .

٧. استخدم الباحث السرد المباشر في الدراسة الرابعة ولم يدون محاور أو تعريفات تساعد القارئ على التمييز بين الفترات والموضوعات المختلفة التي ينتقل إليها المؤلف من وقت لآخر.

٨. في الدراسة الخامسة دون الباحث أهم ما شاهده وسجله الرحالة عن منطقة الباحة كما أنه ذكر توصيات واستنتاجات مهمة أثرت البحث . واختتم المؤلف بحثه بإيراد دراسة مقارنة لأهم ما دونه هؤلاء الجغرافيون والرحالة .

٩. شملت الدراسة السادسة أهم الأحلاف القبلية التي شهدتها منطقة الباحة منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث[٣] .

١٠. نجد الباحث في الدراسة السابعة يقصر حديثه على عصر ما قبل الإسلام (الجاهلي) ، ومواطن الاستيطان في المنطقة قديمة قدم الإنسان ، وآثار المنطقة يوجد بها دلائل على العصور الحجرية[٤] . وتحتاج إلى أساتذة متخصصين يدرسونها . كما استخدم أسلوب التحليل في بعض المواضع من هذه الدراسة .

---

(١) أقول عليكم يا أساتذة النقوش والتاريخ القديم مسؤولية كبيرة تجاه ما يوجد في مناطق عسير، والباحة، ونجران ، وجازان من نقوش ورسومات صخرية يعود بعضها إلى آلاف السنين قبل الإسلام . وأرجو من جامعات الجنوب السعودي أن تدعم وتشجع من يدرس هذه المصادر التاريخية المهمة .

(٢) أتفق معك يا دكتور في هذه الملحوظة القيمة ، وأرجو أن أتداركها في الطبعة الثانية للكتاب .

(٣) لم نذكر كل الأحلاف القبلية لأنها كثيرة وتستحق أن تدرس في عدد من البحوث لكننا درسنا ونشرنا بعضها .

(٤) أتفق معك في كل ما ذكرت ، ومن يسير في مناكب تهامة والسراة الممتدة من حواضر الحجاز إلى حواضر اليمن يجدها مليئة بالآثار والنقوش التي يعود تاريخها إلى العصور الحجرية وجميع عصور التاريخ القديم.

١١. نلحظ الباحث يرصد مشاهداته وبعض الروايات الشفهية في الدراسة الثامنة. واقترح إعداد دراسة منفصلة عن المشاهدات والزيارات الميدانية للمنطقة مع توثيقها بالصور الفوتوغرافية ، ولو تم إنجاز هذا العمل فسوف نطلع على موسوعة مصورة عن تاريخ هذه البلاد . كما أرى فصل الجانب الجغرافي في هذه الدراسة ويفضل أن يكون في مقدمة الكتاب .

١٢. في الدراسة التاسعة رصد الباحث التعليم النظامي في بلاد الباحة خلال العصر الحديث ، وهي دراسة سردية ومختصرة(١) .

١٣. الدراسة العاشرة رصد لبعض الآثار في سروات منطقة الباحة ، وكان على الباحث أن يتوسع في هذا البحث ثم يوثق بحثه بالصور الفوتوغرافية ، ولو فعل ذلك لأثرى الدراسة وجعلها في مستوى علمي أفضل(٢) .

١٤. الدراسة الحادية عشرة تعليقات وشروح على الجزئين (الثالث والخامس) من موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) ، وكذلك رد على نقد وجه لكتاب عن تاريخ وأنساب بعض القبائل في منطقة الباحة .

١٥. الدراستان الثانية عشرة والثالثة عشرة رد على نقد موجه للجزء الخامس من موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) ، وأيضاً قراءة تصويبية لأخطاء اللغة والطباعة في كتاب عن تاريخ منطقة الباحة وما حولها .

١٦. استخدم الباحث أسلوبً أدبياً إنشائياً في عرضه لمنطقة الباحة في الدراسة الرابعة عشرة . ولم يعتمد على مصادر أولية أو مراجع في هذه الدراسة . كما افتقر هذا البحث لشروح أو تعليقات كبقية الدراسات السابقة .

١٧. نجد في الدراسة الخامسة عشرة أن الباحث دون تفصيلات دقيقة عن رحلته في بلاد المخواة ، والشدوان (الأسفل والأعلى) ، واختتم عمله بعرض أهم ما كتب عن هذه الأوطان في المصادر والمراجع المختلفة . وأقترح جمع كل ما

---

(١) منطقة الباحة بحاجة إلى دراسات علمية موثقة ترصد مسيرة الحياة العلمية والتعليمية والثقافية والفكرية منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر، وآمل أن نرى من أساتذة قسم التاريخ في جامعة الباحة من يتولى هذا الموضوع بالبحث والتوثيق .

(٢) آمل من جامعة الباحة أن تكون فريق عمل يقوم بجمع آثار المنطقة وحفظها ودراستها .

يتعلق برحلاته في كتاب مستقل بعيد عن هذا المؤلف لاعتباره مشاهدات خاصة وليست دراسة أكاديمية وعلمية رصينة[١] .

١٨. **هنـاك بعض المقترحـات، والمميـزات، والسلبيات التـي أذكرها في السطور الآتية:**

أ- المقترحات :

(١) يجب وضع مقدمة جغرافية وافية في بداية الكتاب . (٢) سرد أهم آثار المنطقة، والتصـدي لهـا بالكتابة وتقديم ملخصات واضحة لهـا . (٣) إعداد جدول يوضح أهم الأحـداث التاريخية التي شهدتها منطقة الباحة ، أو شارك فيها أبناء المنطقة وكان لها صـدى عبر عصور التاريـخ المختلفة. (٤) إعداد دراسة مستقلة عـن أهم القبائل التي تسكـن بـلاد الباحة (تهامة وسـراة) ، وذكر تفرعاتها ومنازلها وإبـراز دور كل قبيلة منها في التاريخ. (٥) تقديم دراسة جادة عن الطرق الفرعية لطريق البخور وإبراز دور المنطقـة في تسيير القوافل التجارية واستقبالهـا ودعم ذلك بالصور الخاصة بمحطات الطـرق والاستراحات وموارد المياه. (٦) أقترح تقـديم الدراسة رقم (٥) عن الرحالة والجغرافيـين إلى بدايـة الكتاب ، لأنها تكشف أهمية المنطقـة عبر عصورها المختلفة ، وتوضح أهمية هذا النوع من المصادر في دراسة تاريخ وحضارة المنطقة .

ب- المميزات :

(١) ضـم الكتاب دراسة أثرية رقم (١٠) ، وأقـترح تقديمها في الصفحات الأولى من الكتاب لأهميتهـا. (٢) لا تخلو دراسة من الدراسات المنشورة من تقديم مقترحات بحثية لطلاب وطالبات الدراسات العليا وغيرهم من الباحثين المهتمين بتاريخ وحضارة بـلاد تهامة والسراة ، التي منطقـة الباحة جزء منها .(٣) قدم البـاحث (ابن جريس) الكثـير من الشروح المختلفـة ومناقشتها في الحواشي ، وأضـاف تعليقاته الخاصة على كل الدراسـات الخاصـة بغيره من الباحثـين ، ومعظم ملحوظاته جيـدة وهادفة . (٤) التنـوع في الدراسـات المنشورة في الكتاب ما بين التاريخ ، والآثار ، والجوانب الحضارية الأخرى.

---

(١) اقتراح جيد ، وقد جمع الأستاذ محمد بن أحمد مُعبِّر بعض رحلاتي في جنوب البلاد السعودية في مجلدين تجـاوزا الألف صفحة، ومـازال عندنا الكثير من الرحلات الداخلية والخارجيـة ، ونسعى في المستقبل إلى نشرها في عدة مجلدات (بإذن الله تعالى) .

ج- السلبيات :

(١) تفتقر الدراسات للملاحق مثل الخرائط ، والصور التوضيحية ، والأشكال، ووجودها يثري البحوث وتساعد القارئ غير المتخصص في الوقوف على المواضع الجغرافية وتحديد معالمها. (٢) كان الواجب على الباحث أن يراعي التسلسل الزمني في ترتيب الدراسات في الكتاب . فتأتي الدراسات الإسلامية المبكرة ، ثم الوسيطة فالحديثة ثم المعاصرة . ويراعى أيضاً الدراسة الشاملة عن عموم المنطقة يليها الدراسات المقصورة على ناحية محدودة وصغيرة ، وذلك مما يساعد القارئ غير المتخصص على التسلسل في قراءة أحداث المنطقة، ولا يتشتت ذهنه أو يتسرب الملل إليه . (٣) إرفاق تصويبات المصنفات السابقة في كتاب متخصص في تاريخ وحضارة المنطقة ، ومن الأفضل التنبه لها في الطبعة الثانية للكتاب دون أن تفرد لها دراسة مستقلة. (٤) من الأفضل فصل كل الدراسات الخاصة بالرحلات والمشاهدات في كتاب مستقل ، وفصلها عن هذا الكتاب المعني في هذه الورقات كونه دراسة أكاديمية متخصصة .

ثانياً: دراسة نقدية لكتاب (منطقة نجران : دراسات، وإضافات، وتعليقات (من قبل الإسلام. ق١٥هـ/ق١. ق٢١م) . (الجزء الأول) .

١. شملت الدراستان الأولى والثانية الحديث عن بلاد نجران، وتهامة والسراة . وبقية الدراسات اقتصرت على منطقة نجران . وكان الأفضل أن يحذف كل ما يتعلق بالسراة وتهامة في الدراستين الأوليين، ونشر المادة الخاصة ببلاد نجران فقط. كما أن المادة المنشورة عن هذه الأوطان في التاريخ القديمة قليلة ومحدودة(١) .

٢. بعد أن تصفحت الكتاب وقرأت عنوانه كان الأفضل أن يكون العنوان الرئيسي: دراسات في تاريخ نجران منذ القرن الأول حتى القرن الخامس عشر للهجرة (ق٧. ٢١م) ، لعدم وجود مادة كافية عن التاريخ القديم لمنطقة نجران . ولا يوجد أيضاً معلومات واضحة وتفصيلية عن نجران من القرن الخامس حتى العاشر الهجري(٢) .

٣. يظهر من عنوان الكتاب أنه بدأ بالقرن الأول للميلاد ، أو عصر ما قبل الإسلام، وهي فترة زمنية طويلة جداً ، والمعلومات المنشورة في الكتاب لا تغطى هذه القرون العديدة ، وإنما هي شذرات قليلة يشوبها الخلل والنقص(٣) .

٤. احتوى الكتاب على ذكر مؤلف واحد فقط ، وهناك عدة مؤلفين تناول كل منهم موضوعاً مستقلاً بذاته ، وكان من الأفضل إضافة أسمائهم أو كلمة (وآخرون) للدلالة على وجود مؤلفين آخرين غير الباحث الرئيسي (ابن جريس)(٤) .

٥. اجتهد الباحث في ترتيب الدراسات زمنياً ، مع أنها لا تخلو من بعض القصور في هذا الجانب ، أرجو أن يعيد النظر فيها مستقبلاً لو نشر الكتاب في طبعة ثانية جديدة .

---

(١) هذا كلام صحيح أرجو أن أصدر في قادم الأيام دراسة طويلة ومفصلة عن تاريخ السروات وتهامة في العصور القديمة. أما بلاد نجران فتستحق أن يصدر عنها دراسات عديدة في هذا الباب. وأرجو أن نرى من يقوم بذلك من أساتذة التاريخ القديم في جامعاتنا السعودية والعربية .

(٢) ما تم إيراده صحيح وبخاصة في العصور الإسلامية الوسيطة ، فما زالت بلاد نجران بحاجة إلى من يدرسها دراسة تاريخية وحضارية من القرن (٥-١١هـ/ق١١-١٧م). أرجو أن أقوم بإنجاز ذلك في قادم الأيام ، لأنه سبق أن أصدرت عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) كتاباً تاريخياً كبيراً عن بلاد نجران من القرن (١-٤هـ/ ق٧-١٠م). (الجزء الأول) .

(٣) نعم هذه الحقيقة أرجو أن نرى باحثين جادين يستكملون ما قصرت فيه ، أو ما وقعت فيه من خلل ونقص. ونجران في عصورها القديمة ميدان خصب للبحوث التاريخية والآثارية ، أرجو من جامعة نجران أن تدعم وتشجع من يقوم بذلك من أساتذتها وطالباتها وطلابها في برامج الدراسات العليا .

(٤) هذه ملحوظة قيمة ، لكن معظم البحوث المنشورة في هذا الكتاب من إعدادي ، وهناك باحثون آخرون نشرت أبحاثهم في الكتاب نفسه ، وحفظت حقوقهم العلمية مع أبحاثهم المنشورة ، وإيراد تراجم مختصرة في الحواشي لكل من ساهم بدراسة في هذا السفر .

٦. نجد في الدراسة الأولى أن الباحث حصر تاريخ نجران القديم في أربعة أدوار، والواقع أن تاريخ هذه البلاد قديم جداً ، فقد عاصرت مدينة نجران الممالك الكبرى التي قامت في اليمن وبلاد نجران ، وجرى بينها العديد من العلاقات التي تباينت ما بين علاقات تحالف وخضوع. ويؤخذ على هذه الدراسة عدم تحليل النصوص التي أوردها المؤلف في الكثير من المواضع . ومن سلبياتها أيضاً الربط ما بين نجران وتهامة والسراة مع العلم أنها كانت منفصلة عن بعضها في كافة النواحي(١).

٧. أما الدراسة الثانية فلا تخلو من تناقض مادتها العلمية مع ما ورد في الدراسة الأولى (٢). واستخدم الباحث أسلوب السرد في عرضه للمعلومات في جوانب الحياة المختلفة . واختتم الدراسة بذكر تعليقات استعرض فيها الجوانب التي مازالت بحاجة إلى بحث أشمل وأعمق من قبل الباحثين والمتخصصين(٣).

٨. استعرض الباحث في الدراسة الثالثة أهم الأوضاع السياسية التي شهدتها منطقة نجران(ق١. ق٤هـ). ويوجد بها تشابه مع المادة المنشورة في الدراسة الخامسة المنشورة في الكتاب نفسه(٤).

٩. نلاحظ في الدراسة الرابعة استخدام أسلوب السرد أثناء الحديث عن الحياة الاقتصادية في نجران .. واعتمدت الدراسة على مصادر في التراث الإسلامي، وهي متأخرة عن فترة الدراسة المحددة . كما تفتقر المادة المنشورة إلى النقد والتحليل(٥).

---

(١) هذه ملحوظة جيدة ، لكن بلاد نجران مازالت على صلات تاريخية وحضارية مع بلاد السروات منذ عصور ما قبل الإسلام وخلال عصور الإسلام المختلفة . والصلات بينهما جديرة أن تدرس في عشرات الكتب والبحوث العلمية .

(٢) هذا كلام غير دقيق فالدراسة الأولى تركز على جوانب سياسية بحتة ، والدراسة الثانية ركزت على صور من الحياة الإدارية والحضارية في منطقة نجران والسروات وتهامة قبل الإسلام .

(٣) هناك عشرات العناوين والموضوعات الجديدة تستحق أن تدرس في هيئة بحوث علمية موثقة .

(٤) هذا الكلام صحيح لأن الدراستين تم نشرهما من قبل في وعائين مختلفين وفي زمنين متباعدين وكان الواجب أن أحذف التشابه، وهذا ما سوف نقوم به عند إعادة طباعة هذا السفر في قادم الأيام (بإذن الله تعالى) .

(٥) لا يخلو الكلام المدون أعلاه من الصحة ، لكن هذه الدراسة الرابعة جيدة في بابها فهي تدرس تاريخ نجران الاقتصادي خلال القرن الهجري الأول (السابع الميلادي) ، وتفتح آفاقاً أوسع لمن يريد دراسة بلاد نجران خلال القرون الإسلامية الأولى .

١٠. يدون الباحث في الدراسة الخامسة موجزاً عن تاريخ نجران منذ عصر النبوة حتى العصر الحديث، ويؤخذ عليها الاختصار والإيجاز فقط عن الجانب السياسي دون مناقشة أثر تلك الأحداث السياسية على الأرض والناس في نجران[١].

١١. استخدم الباحث في الدراسة السادسة أسلوب السرد عن ما دونه الجغرافيون والرحالة العرب والأجانب عن منطقة نجران. وتميزت هذه الدراسة بمحاولة الباحث عقد مقارنة وإبراز أوجه الشبه والاختلاف بين المصنفات التي تناولها بالحديث.

١٢. اشتملت الدراسة السابعة على تفصيلات عن المؤسسات الإدارية في نجران في العصر الحديث من خلال بعض المسؤولين الذين تقلدوا مناصب مهمة في تلك الإدارات الحكومية والأهلية. وامتاز هذا البحث باجتهاد الباحث في توثيق أغلب المعلومات من مصادر محلية وموثوقة، وهذا مما أعطى الدراسة أهمية كبيرة، وسوف تزداد أهميتها مع تقادم الزمن.

١٣. استخدم الباحث في الدراسة الثامنة أسلوب السرد المباشر والمقارنة أحياناً وكنت أتمنى الإسهاب في أسلوبي المقارنة والتحليل عند دراسته لهذا الموضوع.

١٤. في الدراسة التاسعة استخدم الباحث أسلوب السرد أثناء عرضه للمعلومات، فقدم مختصراً موجزاً عن بعض التنظيمات الإدارية في نجران، كالإمارة، والشرطة، والتعليم، والصحة، والكهرباء، والاتصالات، والمواصلات، والأسواق، كما أشار لبعض الجوانب الاجتماعية والاقتصادية في نجران. ويؤخذ على هذه الدراسة ذكر أهم أودية نجران في نهاية الدراسة، وكان الأفضل تقديم هذه الجزئية إلى الصفحات الأولى من الكتاب[٢].

١٥. استخدم الباحث في الدراسة العاشرة أسلوب الوصف في تدوينه لمعلومات تاريخية وحضارية، واعتمد على السماع والمشاهدة منذ دخوله بلاد نجران في بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) حتى عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، ولم يكلف

---

(١) أتفق مع هذا القول، وآمل أن يأتي بعدنا من يستكمل ما لم نستطع دراسته، أو تصحيح ما وقعنا فيه من أخطاء علمية غير مقصودة. وتحتاج بلاد نجران إلى دراسات أطول وأعمق في الحياة السياسية والحضارية عبر عصور التاريخ.

(٢) أحترم وجهة نظرك يا دكتور مصطفى لكن كل دراسة في هذا الكتاب مستقلة، وبعض الدراسات كتبها باحثون آخرون، فكان من الصعب أن نجمع المواد العلمية المتشابهة في مكان واحد وتحت عنوان دراسة محددة. وهذه البحوث المنشورة متنوعة في أزمانها وموضوعاتها، وسوف تساعد الباحثين والمتخصصين وطلاب الدراسات العليا في دراسة موضوعات جديدة.

نفسه بالرجوع إلى بعض المصادر والمراجع الموثوقة التي تساعده في التأكد من معلوماته[١].

١٦. دون المؤلف في الدراسة الحادية عشرة مشاهداته التربوية والتعليمية ومعلومات أخرى حضارية عاصرها وشاهدها في نجران خلال العقود الأربعة الماضية . وهي مثل الدراسة السابقة في اعتماد مؤلفها على مشاهداته ، وكان الأفضل أن يطلع على مراجع أو وثائق أو صور فوتوغرافية تدعم ما رصده في هذا البحث[٢].

١٧. الدراسات الثانية عشر ، والثالثة عشر ، والرابعة عشر لباحثين عاشا وعرفا بلاد نجران . فالثانية عشر لباحث في جامعة نجران ، وجل حديثه عن صور من الحياة الاجتماعية النجرانية خلال العصر الحديث . أما البحثان (١٣، ١٤) فهما لمؤلف واحد يدوران في فلك تاريخ نجران المعرفي والثقافي وشيئاً من الحضاري . والدراسات الثلاث اعتمدت على السماع والمشاهد لكاتبيها اللذين عاشا بين النجرانيين وشاهدا الكثير من أنشطتهم الحضارية والتنموية . وأتمنى لو أن الباحثين دعما بحثيهما ببعض المصادر والمراجع التي كتبت عن منطقة نجران خلال العصر الحديث والمعاصر، كما أن دراساتهما تفتقر إلى أساليب النقد والتحليل والمقارنة.

١٨. **لقد خرجت في دراسة هذا السفر بالعديد من الإيجابيات والسلبيات ، والمقترحات ، وأذكر أهمها في الفقرات الآتية :**

أ- الإيجابيات :

١. الكتاب ملئ بالتعليقات والنقاشات والتوضيحات من قبل محرر الكتاب (ابن جريس) ، وهذه المعلومات المرصودة في الحواشي مهمة جداً ، ولا يلتفت إليها الباحثون غير العارفين بتاريخ وحضارة جنوب غرب شبه الجزيرة العربية .

٢. ناقش المحرر الكثير من الموضوعات في الهوامش ، وهي بلاشك تزيد من قيمة هذه البحوث علمياً وأكاديمياً . كما سجل في بعض الحواشي ، أو في نهاية

(١) يا دكتور مصطفى هذه المعلومات وصلتنا من مدرس فلسطيني جاء إلى نجران عام (١٣٩٩-١٤٠٠هـ) ومازال يعيش في نجران حتى اليوم (١٤٤١-٢٠٢٠م) ، وقد استكتبته عن نجران كيف رآها عندما وصلها أول مرة ، ثم كيف تطورت فرصد لنا معلومات وصفحات جيدة في هذا الجانب ، وما دونه بعد مصدر مهم للتاريخ الحديث والمعاصر.

(٢) الباحث الذي دون الدراسة العاشرة هو الباحث نفسه الذي رصد معلومات هذه الدراسة رقم (١١) . وقد أفادنا كثيراً أن دون لنا تفصيلات حديثة ومعاصرة جديدة عن بلاد نجران خلال العقود الأربعة الماضية.

بعض الأقسام أو عناصر الكتاب مقترحات تفيد طالبات وطلاب الدراسات العليا الذين يبحثون عن عناوين أو موضوعات يسجلونها لرسائلهم العلمية في درجتي الماجستير والدكتوراه .

ب. السلبيات :

١. أخطأ الباحث عندما جمع بين نجران وتهامة والسراة في مصنف واحد، على الرغم أن كل من هذه النواحي مختلفة في الموقع والتركيبة الطبيعية والبشرية[١] .

٢. إذا نظرنا في منهجية الكتاب فكل دراسة التزمت منهجية خاصة بها[٢] ، وكان الأفضل توحيد منهجية البحث وبخاصة ما يتعلق بالمصادر والمراجع فبعض الدراسات تشتمل على قائمة بذلك ، وأخرى اقتصرت فقط على الحواشي المدونة في أسفل صفحات البحث .

٣. لم نجد أي دراسة مستقلة عن تاريخ نجران القديم ، وما كتب نجد فيه نوعاً من الخلط ، فنجران كانت محطة من محطات القوافل التي خضعت لحكم قبيلة أمير مهأمر ، وخصصت لنفوذ مملكة سبأ في بعض فتراتها ، وتنوعت علاقاتها ما بين سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية[٣] .

٤. بعد قراءتي لهذه الدراسات الأربع عشرة ، أقول إنها جهود مشكورة من محرر الكتاب ، لكن كان عليه أن يعود إلى الكثير من البحوث العلمية المطبوعة والمنشورة في مجلات علمية محكمة ، ومنها المكتوب باللغة العربية وأخرى أجنبية . وهناك أيضاً كتب ورسائل علمية موجودة في مكتبات الجامعات المركزية في العالم العربي والغربي ، كنت أتمنى أن يستفيد الباحث من هذه المصادر التي تثري عمله العلمي وتزيد من مستواه الأكاديمي .

---

(١) ليس هناك ذلك الاختلاف الكبير ، لكن الخطأ الأكبر الذي وقعت فيه هو الحديث عن نجران قبل الإسلام في صفحات محدودة، وكان الأفضل أن تكون الدراسات المنشورة مقصورة على العصر الإسلامي المبكر والوسيط والحديث والمعاصر .

(٢) لا بد أن تكون دراسة مستقلة في معلوماتها ومنهجها لأنها دونت في فترات متفاوتة ، كما أن بعضها دونها مؤلفون آخرون غير محرر الكتاب (ابن جريس) .

(٣) آمل أن أصدر دراسة وافية عن تاريخ نجران السياسي والحضاري قبل الإسلام ، وهذا ما بدأت فيه منذ زمن وحتى الآن لم أستكمل هذا العمل ، أرجو أن أستطيع إصداره في العام القادم (بإذن الله تعالى) .

٥. من خلال دراسة هذه البحوث وجدت أن هناك قروناً عديدة خلال العصر الإسلامي الوسيط لم تدرس بشكل جيد ، وهي تستحق أن يصدر عنها بعض الأعمال العلمية الموثقة والرصينة ، أرجو من ابن جريس أن يلتفت لهذا الميدان، وبخاصة أن له محاولة في كتابة : نجران : دراسة تاريخية حضارية (ق١ - ق٤هـ/ق٧ - ق١٠م) (الجزء الأول)[1].

٦. جميع الدراسات المطبوعة في هذا الكتاب مركزة على حاضرة نجران ولا نجد تاريخاً واضحاً لمنطقة نجران بمفهومها الواسع في وقتنا الحاضر[2].

ج- المقترحات :

١. يحتاج الكتاب إلى تمهيد جغرافي يرصد المواقع والحدود ، والموارد الطبيعية التي شجعت الاستقرار السكاني بها واستمرار حضارتها .

٢. يجب إضافة دراسة علمية جادة عن تاريخ نجران في العصور القديمة ، كما يجب إصدار عمل علمي عن الآثار المتنوعة والمتناثرة في منطقة نجران . وهذه الأعمال تحتاج إلى تضافر جهود بين المؤسسات العلمية والتعليمية وبين متخصصين مميزين جادين .

٣. يجب فصل الدراسات التي تتعلق بمشاهدات بعض المؤلفين في كتاب منفصل تحت أي مسمى لافتقارها للتوثيق العلمي والتحليل ونشرها في هذا السفر لا يتناسب مع الدراسات الأخرى المنشورة في الكتاب نفسه.

٤. يستحسن تقديم الدراسة الخاصة ببلاد نجران في كتب الجغرافيين والرحالة المتقدمين والمتأخرين . وأقول إن هذه الدراسة جيدة وتحتوي على معلومات قد لا نجدها في أي مصدر أو مرجع آخر[3].

---

(١) يقع الكتاب في (٥٦٠) صفحة، صدرت طبعته الأولى عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ، والطبعة الثانية عام (١٤٣٤هـ /٢٠١٣م) . آمل أن أستكمل الجزء الثاني من القرن (٥- ١٠هـ /ق١١-١٦م) .

(٢) هذه ملحوظة صحيحة فالذاهب في أرجاء منطقة نجران يجدها تتكون من عدد من المحافظات مثل: شرورى ، وحبونا ، ويدمة وغيرها تستحق أن يفرد لها دراسة علمية مطولة .

(٣) نعم كتب الجغرافيا والرحالين تحتوي على معلومات قيمة وجديدة يصعب أن نجدها في مصادر ومراجع أخرى .

ثامناً : خلاصة القول[1] .

بعد اطلاعي على هذه القراءة النقدية المختصرة التي قام بإعدادها الزميل الأستاذ الدكتور/ مصطفى محمد قنديل زايد ، خرجت بالعديد من العبر والدروس التي أسردها في النقاط الآتية :

١. أشكر هذا الأستاذ الأكاديمي في التاريخ والحضارات القديمة فلقد منحني جزءاً من وقته وقام بقراءة هذين الكتابين التي لا ندعي الكمال فيما تم دراسته وطبعه ونشره . والجميل في ملحوظاته أنها شفافة بعيدة عن المجاملات وعبارات الثناء والإطراء المستفحلة للأسف في عالمنا العربي والإسلامي .

٢. هناك الكثير من العيوب والسلبيات التي لم أعرفها وأكتشفها إلا بعد ما وصلتني ملحوظات الدكتور مصطفى ، وأسأل الله أن يخلص لي وله القول والعمل ، والظاهر والباطن .

٣. هناك الكثير من الرؤى والمقترحات التي سردها الأخ مصطفى زايد ، وهي جيدة وهادفة ، أرجو أن آخذ بها أثناء طباعة هذين الكتابين في طبعتهما الثانية .

٤. اعلم أن الدكتور مصطفى متخصص في التاريخ القديم ، ومعه عدد من الزملاء يعملون في قسم التاريخ بكلية العلوم الإنسانية جامعة الملك خالد عام (١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م) فأرجو منهم أن يعكفوا على بعض الدراسات القديمة المتعلقة بمناطق نجران وعسير، وجازان ، والباحة وأنا على استعداد أن أتعاون معهم في طباعتها ونشرها حتى يستفيد منها طلاب المعرفة والبحث العلمي داخل الجزيرة العربية وخارجها.

٥. هناك الكثير من النقوش والرسومات الصخرية الموجودة في عموم بلدان تهامة والسراة ، أرجو من أقسام التاريخ في جامعات الملك خالد ، ونجران ، وجازان ، والباحة ، والطائف ، وبيشة أن تدعم وتشجع من يدرس هذه المجالات العلمية المهمة في عموم هذه المناطق التهاميةوالسروية .

(١) هذه الخلاصة من إعداد صاحب موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (ابن جريس) .